دور القيم الثقافية في تعزيز الوحدة الوطنية

■ بقلم/ الحسن الطاهر الحسن

إن القيم الثقافية تبلورت بصورة علمية إلى نهج يعمد إلى إحياء النهضة العلمية والفكرية والتنموية بصورة عامة في الكثير من دول العالم الأول ونحن في السودان نشهد تحديات هي الأخطر في تاريخ البلاد لما يترتب عليها من تغيير يحدد معالم الوطن وهويته.

وتأتي هذه الأسطر بين يديكم لتسليط الضوء على بعض ملامحنا التراثية والفكرية وبعض المواقف والأحداث التاريخية التي شكلت هويتنا القومية.

يقول المفكر والفيلسوف تايلر عن الثقافة (هي الكل المعقد الذي يضمن المعرفة والاعتقاد والفن والحقوق والأخلاق وكل المقدرات والأعراف التي يكتسبها الإنسان كفرد في المجتمع).

وتتجلى أهمية دراسة المجتمع لمكوناته الثقافية في معرفة كيفية وجوده تاريخا وراهنا ومستقبلا، والمجتمع المثالي هو الذي يرث قيماً خلقية وسلوكيات كريمة ويحافظ عليها ويطورها ويعكسها لغيره من المجتمعات ويورثها للأجيال من بعده.

ولذلك نجد هنالك ارتباطاً وثيقاً ومتلازماً بين الدين والثقافة في كل الحضارات الإنسانية والتاريخ يتحدث عن أديان تمخضت عن ثقافات ، وثقافات تشكلت عبر الأديان ، وأديان تكاملت مع ثقافات ومنها ديننا الحنيف الذي أبقى على الكثير من العادات الإنسانية السامية وأضاف لها الكثير وعالجها ، ونذكر قوله (صلى الله عليه وسلم): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وبما أن الثقافات هي عبارة عن نتاج إنساني تكون من حصيلة تجارب الإنسان نفسه نجدها تتصف بنفس أوصافه من مرض وصحة وازدهار وشباب وشيخوخة وغزو واستلاب.

ويظهر ذلك جليا إذا أخذنا ثقافتنا العربية والإسلامية نموذجاً إذ نجدها تعاني وتكابد من أجل أن تجد موطئ قدم في عالم اليوم بعد الغزو الذي اجتاحها من الغرب وسياساته الإمبريالية التي يقف من ورائها اللوبي الصهيوني ، فتم تقسيم الوطن العربي إلى ثلاث ثقافات إبان الاستعمار الأوربي للوطن العربي في مطلع القرن الماضي : فرنسا في غربه ، وإيطاليا في وسطه وبريطانيا في شرقه ، وإقامة الدولة الإسرائيلية في القدس ، وفرض المستعمر لثقافته المتمثلة في أن تكون لغته هي اللغة الرسمية في التعامل والتعليم وإنشاء البارات والفساد الخلقي ودعم الأقليات النصرانية وإثارة النعرات الدينية بينها وبين المسلمين كما حدث في لبنان ومصر والسودان وتشاد.

وها هو الغرب اليوم يعود إلينا بشكل أخطر وأقوى من سابقه بالغزو الثقافي للعالم العربي عبر ثورة الاتصالات والمعلومات (العولمة) ، يصدر لنا أخلاقياته ومفاهيمه المنافية حتى للفطرة البشرية ليغزو به عقول الشباب ؛ تلك الشريحة التي على أكتافها تنهض الأمم وتحيا ، ونجح في ذلك إلى أبعد مدى فانظر إلى سطحية الشباب الإسلامي والعربي ومحدودية إنتاجهم العلمي والأدبي وحالة الخواء والخمول الفكري والتقليد الأعمى للغرب في الزى والسلوك حتى العبارات ، والنظر إلى القنوات الفضائية العربية التي لا تمت إلى العروبة والإسلام بصلة يثبت لك ذلك.

وبينما الشباب الغربي نجدهم يثرون المعامل والمختبرات يبتكرون وينتجون ما يبنون به حضاراتهم ويجدون كل الرعاية والدعم والتأهيل ويصدرون لنا الخواء والمهيات عن قيمنا الروحية والأخلاقية.

فكان لنا في السودان نصيبنا من ذلك أرض المليون مربع ملتقى النيل وأرض الحضارات وأعظم الثورات الإسلامية في أفريقيا (سنار . المهدية) وبوابة الإسلام إلى القارة السمراء . والاستعمار يصيبنا في أعز ما نملك في وحدتنا وتنوعنا بوباء الفرقة والشتات والدعوات الانفصالية في الجنوب ، والتحرر من العروبة والإسلام ، ورسخ لذلك باتباع سياسة المناطق المقفولة والرسومات على جدران الكنائس . ويتكرر المشهد اليوم في دارفور منارة القرآن وكساء الكعبة المشرفة تحت دعاوى الإبادة الجماعية والتطهير العرقي للزنوج وبذلك يضمن اللوبي الصهيوني فصل المد الإسلامي عن غرب ووسط وجنوب أفريقيا ووضع يده على مياه النيل.

ولكل ما ذكر نقول : إن التفافنا حول ثقافتنا يضعنا في مقدمة الأمم.

إن السلام الاجتماعي الذي دعت له كل الأديان السماوية ليست اتفاقيات سياسية فحسب إنما هو مسئولية الأفراد أولاً والمجتمعات ثانياً والدولة أخيراً فكل منا له دوره وذلك لا يتم إلا بالتسامح والإخاء وزجر التعصب القبلي ويقول صلى الله عليه وسلم: « كلكم لآدم وآدم من تراب». والإنجيل: «طوبي لصانعي السلام» وأيضاً : «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة».

ومن ذلك ندرك أن تمسكنا بأخلاقياتنا الفاضلة هو طريقنا إلى التعايش السلمي، والبعد الإنساني هو الذي يدفع ويعزز معدلات الثقة بين المجتمعات، وبالثقة وحدها يمكن أن يكون التنوع والتباين صمام أمان الوحدة التي تكون عماد النهضة في بلادنا.

أفشـــوا الســـــلام

■ بقلم : سندس حسن

السلام سنة قديمة من عهد آدم عليه السلام إلى قيام الساعة وهي تحية أهل الجنة «وتحيتهم فيها سلام» وهي من سنن الأنبياء وطبع الأتقياء ودين الأصفياء وفي هذه الأيام أصبح بين المسلمين وحشة ظاهرة وفرقة واضحة فترى أحدهم يمر بجوار أخيه المسلم ولا يلقي عليه تحية الإسلام والبعض يلقي السلام على من يعرف فقط ، وآخرون يتعجبون أن يلقى عليهم السلام من أناس لا يعرفونهم.

وهذا كله من مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تباعدت القلوب، وكثرت الجفوة، وزادت الفرقة، يقول صلى الله عليه وسلم :«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتوه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم.

وفي الحديث المتفق عليه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». وفي هذا حث على إشاعة السلام بين المسلمين، وأنه ليس مقتصراً على معارفك وأصحابك فحسب بل للمسلمين جميعاً.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يغدو إلى السوق ويقول «إنما نغدو من أجل السلام، فنسلم على من لقيناه».

والسلام يدل على تواضع المسلم ومحبته لغيره، وينبئ عن من نزاهة قلبه من الحسد والحقد والبغض والكبر والاحتراز وهو من حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، ومن أسباب حصول التعارف والألفة وزيادة المودة والمحبة وهو من أسباب تحصيل الحسنات ودخول الجنات، وفي إشاعته إحياء لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

قال عليه الصلاة والسلام: «خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز» رواه مسلم.

والواجب على من ألقي عليه السلام أن يرد امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعن أبي سعيد الخضري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إياكم والجلوس في الطرقات، فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، فقال :«إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر، وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» متفق عليه.

قال الإمام النووي رحمه الله «واعلم أن ابتداء السلام سنة ورده واجب وإن كان المسلم جماعة فهو سنة كفاية في حقهم وإذا سلم بعضهم حصلت سنة السلام في حق جميعهم، فإن كان المسلم واحداً تعين عليه الرد ، وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم فإن رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقين، والأفضل أن يبتدئ الجميع بالسلام وأن يرد الجميع».

مراتب السلام:

السلام ثلاث مراتب: أعلاها وأكملها وأفضلها «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» ثم دون ذلك «السلام عليكم ورحمة الله» وأقله: «السلام عليكم» وعلى ذلك يكون الأجر.

ورد أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه عنده فقال الداخل السلام عليكم فقال : صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ، عشر» ثم بعد ذلك دخل رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال: صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمة الله عشرون» ثم بعد ذلك دخل رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثلاثون» رواه أبو داود والترمذي. أي عشر وعشرون وثلاثون حسنة.

من آداب السلام:

السنة إذا تلاقى اثنان في طريق أن يسلم الراكب على المترجل، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، قال صلى الله عليه وسلم «يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير».

ينبغي للمسلم أن تكون تحيته للمسلمين السلام، وليس صباح الخير أو مرحباً أو ألو وإنما يبدأ بالسلام ثم يرحب بعد ذلك بما شاء من الترحيب الجائز.

يستحب إذا دخل المسلم بيته أن يسلم فإن البركة تنزل بالسلام قال صلى الله عليه وسلم «إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك» رواه الترمذي وإن لم يكن فيه أحد ليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. رواه مسلم.

ينبغي أن يكون التسليم بصوت مسموع لا يزعج المستمع ولا يوقظ النائم.

استحباب إعادة السلام وتكراره إذا فارق أخاه ولو لفترة وجيزة.

مما شاع بين الناس أن يكون السلام إيماءة وإشارة باليد فإن كان المسلم بعيداً ونطق وليست نائبة عنه وكذلك يقال في الرد.

يستحب للجالس أن يسلم إذا قام من المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة» رواه أبو داود.

استحباب المصافحة عند السلام قال صلى الله عليه وسلم «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» رواه أبو داود والترمذي. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:«كان النبي إذا استقبل الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل الذي ينزع» رواه الترمذي.

احرص على البشاشة وطلاقة الوجه والابتسامة عند السلام حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة» وقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق» رواه مسلم.

١٠. استحباب السلام على الصبيان كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وفي هذا تبسط لهم وزرع الثقة في نفوسهم وغرس لتعاليم الإسلام في قلوبهم.

١١. عدم بدء الكفار بالسلام لقوله صلى الله عليه وسلم «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه» رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم» متفق عليه.

فأحيوا عباد الله هذه السنة العظيمة لتتقارب القلوب وتتآلف الأرواح ويحصل الأجر والمثوبة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأناشيد المصاحبة للبرامج الدينية بين رصانة المعنى وبلاغة الكلمة

■ بقلم: مروة عبد القادر

ظهرت في الآونة الأخيرة فكرة الأناشيد الدينية المصاحبة للبرامج الدعوية والدينية وما أظهره القائمون عليها من تميز وإبداع حق لنا أن نتوقف عنده لنتلمس تلك الفنون الراقية، ففي الوقت الحاضر لمس العالم الإسلامي أهمية الكلمة فجعلها وسيلة للدعوة ولا سيما الأنشودة الدينية ، فكان الاهتمام البالغ والسعي لإبراز كل ما هو جديد وجميل . وحقيقة من يتابع تلك البرامج يجد رصانة الكلمات وجمال الأحرف والمعاني وفطن أهل الإعلام في العالم الإسلامي إلى دور الكلمة كوسيلة لجذب المتلقي ، فكان الاهتمام والتركيز عليها ولا أستطيع في هذه العجالة أن أذكر كل تلك الأبيات الجميلة التي لمست أذني ولكن معاً نبحر في بحر الفن وقبسات من تلك الأناشيد. ومنها أنشودة مصاحبة لبرنامج ديني أول كلماتها:

قائد أعردت ذاتي أرتقى للمكرمات
وحياتي كلها مهر من أحببتها
أمتي أمتي

وفي بداية برنامج آخر في وصف الشوق إلى الجنة:

أيا ربّ بلغني لندیانة الغصن
لخلابة الحسن وصحبة أحمد
حنانيك يا ربي برحماك لا فعلي
أعني ويسر لي لقائي بأحمد

إنه سحر البيان إلى تلك الكلمات وقدرتها على التعبير والتشويق الذي تحتويه والتي تجعلك تتوق لمتابعة تلك الحلقات.

ومن برنامج آخر تصاحبه أنشودة تبدأ:

ما عشت إلا لأرضى الله
وسوف أرعى عهدي مع الله

وفي كلمات أخرى يقول المنشد وهو يتناول الحضارة الإسلامية بين ازدهارها في الأمس وضعفها اليوم:

كنا للعلم منارة
وبنينا المجد بجدارة
فلك طب وعمارة
علم فن وإدارة
أصبحنا أوهن أمة
كنا للناس قدوة
وصنعنا في الأرض حضارة
أصبحنا أوهن أمة

إنها كلمات تدعو إلى الله وإلى دينه ، وإلى التعاليم الإسلامية السمحة ، وهي سلاح لا بد أن يهتم به أهل الإعلام ويستخدمونه كمعول بناء ووسيلة جاذبة للمتلقي والمشاهد والمستمع حتى يتحقق المرجو من البرامج الدينية.

أيضاً هنالك كلمات تقول:

ربّ أدعوك وكلي أمل أن تستجيب
فذنوبي لا حقتني وفؤادي في نحيب
وأنت ملجئي الوحيد
إ ننني اليوم طريد
رب قد خفت الوعيد
فذنوبي أغرقتني وفؤادي لا يطيب

ألا ترى أخي القارئ ، إنها كلمات جميلة تستحق أن تكتب بماء العيون ، يا لفصاحة اللفظ ورصانة الكلمة وجمال المعنى وجمال وتميز الأداء.

أسأل الله أن تكون هذه الأشعار رسالة توحد قلوب المؤمنين قبل أهل الكفر حقاً إنه سحر البيان.